

خطاب صاحب الجلالة في افتتاح أشغال المناظرة الوطنية

حول السكنى والتعمير والمحافظة على البيئة الطبيعية والأصالة المغربية

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

حينما ابلغنا كل من وزيرنا في الداخلية ووزيرنا في السكنى والتعمير انهما قررا عقد هذه المناظرة التي يشارك فيها العمال وبعض من المنتخبين، بمجرد ما اطلعونا على عزمهما ونيتهما قررنا ان نترأس افتتاح هذه المناظرة لما نولي لهذا الموضوع من اهتمام، سواء في الحاضر أو في المستقبل.

واهتمامنا ينطلق من منطلقين :

الأول : اعتزازنا بمغربيتنا، ومحافظتنا على أصالتنا وحضارتنا حتى يمكن لأبنائنا وحفدتنا أن يقولوا كما نقول

وكما قال الشاعر :

تـلك آثارنـا تـدل علينـا فانظـروا بعدنـا إلى الآثـار

فمن العار أن يكون أبناؤنا وحفدتنا ممنوعين ومحرومين من أسباب الاعتزاز والفخار، ذلك الرصيد الذي عشنا عليه ويجب ان يعيشوا عليه.

والمنطلق الثاني : هو مالنا من علم ويقين ان البيئة المادية بقطع النظر عن الأسرة وتدفئتها وواجباتها في

الحنان والرعاية، البيئة المادية تطبع بكيفية نهائية الشخص الذي عاش فيه، فعلينا اذن — إن نحن أردنا أن نخطط لمستقبلنا — ان نوفر لبلدنا أحسن ما يكون من الرجال وأطيب وأطهر ما يمكن من الأبناء، ان البيئة المادية اليوم كما كانت من قبل ليست عمل رجل واحد، ولا وزارة واحدة، ولا ادارة واحدة، بل هي عمل جماعي في تخطيطها وفي انجازها واستكمالها.

اذا كان شعارنا : الله جميل يحب الجمال اعتقد اننا سنقوم بالواجب الذي هو مناط بنا

البيئة كانت دائما هي الشغل الشاغل للمشرع الاسلامي، ابتداء من المشرع الأكبر، وانطلاقا من أوامره

صلى الله عليه وسلم، كان النبي — ويروي في هذا الباب أحاديث وأحاديث — كان صلى الله عليه وسلم مهتما بالبيئة اهتماما لا يقتصر على ناحية الجمال أو الرونق، بل كان اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالبيئة يحيط بمشكلها من جميع جوانبها، الطبية والمناخية، وحتى فيما يخص اكتظاظ السكان في منطقة واحدة.

واذا أردنا أن نأتي بحديث واحد يمكنكم أن تجعلوا منه شعاركم فهو الحديث الذي قال فيه النبي صلى

الله عليه وسلم : « ان الله جميل يحب الجمال ».

فاذا كان شعارنا في بناء مغربنا، في تخطيط قراه، في تخطيط جناته وحدائقه، في تخطيط دوره، اذا كان شعارنا « الله جميل يحب الجمال » فأعتقد اننا سنقوم بالواجب الذي هو مناط بنا.

قلت لكم في المناظرة الأخيرة : ان هناك بعض القرى في المغرب اذا اخذنا مغربيا واغمضنا عينيه وركب ذلك المغربي في الهيليكوبتر ونزل في بعض القرى وفتحنا عينه وسألناه أين أنت؟ ليس في امكانه نهائيا أن يقول أولا انا في المغرب، وثانياً أنا في ناحية من نواحي المغرب، هذه الفوضى وهذا التعفن الخلقي — لأنني اسميه التعفن الخلقي — يجب ان نضع لهما حداً، ولا يمكن ان يوضع حد لهذه الفوضى الا اذا نظمنا المسطرة التي يجب أن نسير عليها في المستقبل، ولكن كل مسطرة — وهي شكل — لابد لها من عمق ولابد لها من هيكل يتحملها ويحملها، والهيكل هو الناحية العقارية.

المغاربة معروفون بأنهم أهل ذوق ويحبون الطبيعة

الناحية العقارية، علينا أن نراجع في لوائح وفي جميع القرى وفي جميع الجهات وجميع الأقاليم ما بقي لدى الدولة من أراضي يمكن استصلاحها للبناء وللتعمير، فمن جملة هذه الأراضي الأملاك المخزنية، ومن جملة هذه الأراضي أراضي الجماعات والكيش، كل هذه الأراضي التي لا تصلح للفلاحة وليست قادرة على الفلاحة يجب أن توضع في صندوق عام وطني يكون الصندوق العقاري، فحينما نكون قد وضعنا اللائحة كاملة للأراضي التي تملكها الدولة، وحينما نكون قد كونا نظرة شاملة على عدد الهكتارات ومئات الآلاف من الهكتارات يجب اذذاك ان نقف وقفة التروي، وتلك الوقفة لن تكون ضائعة، بل سنغتنمها فرصة لاعادة النظر في تخطيط مدننا، كبيرة كانت أو صغيرة، في قرانا، ونعيد تخطيطها، ونعيد توزيع مناطقها، فهناك مناطق صالحة للصناعة، وهناك مناطق صالحة للسياحة، وهناك مناطق صالحة لتشييد الدور من مستوى معين، وهناك مناطق لا تصلح الا للجنات.

انني أعتبر ان المغرب هو البلد الوحيد الذي لا يهتم بالحديقة، وهذا في الحقيقة مخل بسمعتنا، لأن المغاربة معروفون بأنهم أهل ذوق، وانهم يحبون الطبيعة ، فإذا نحن خططنا لمدننا : هذه الناحية للحي الصناعي، وهذه الناحية للحي الجامعي، وهذه الناحية للحي السياحي وهكذا، اصبح من السهل علينا ان نخطط فيما يخص البناء من جهة، وان نضع تخطيطات جميلة تناسب مدننا، وتناسب ماضينا وتتساير مع روح العصر.

حضرات السادة

تكلم العلماء كثيرا في الأيام الأخيرة وفي السنين الاخيرة على التلوث، وتكلموا على التلوث من الناحية المادية والطبية، وهذا ميدان يعرف عنه الكثير، ولكن التلوث الذي اريد ان اذكره هنا هو التلوث الخلقي والمعنوي، وهذا التلوث المعنوي هو اخطر بكثير من الفكري، فاذا نحن لم نضمن لأبنائنا الكرامة اللائقة بهم في سكناهم، في توزيع الماء والكهرباء عليهم، في الطرق التي سيمشون عليها، فسنخلق لهم تعفنا وتلوثا فكرياً يجعلهم منكرين لأي شيء قامت به بلادهم، ولو قامت بلادهم بالمعجزات.

وهذا التلوث الفكري يبنى على اساسين : الأسرة، وحسن الجوار، الأسرة وحدتها وتكاثفها واستمرارها ككل مناط كذلك بالتخطيط في البناء.

فحينما نخرج إلى اوربا واردنا أن نعرف ما هي الصحة والحالة الصحية للأسرة سألنا عن عدد الدور

التي يكتري فيها الانسان بيتاً أو بيتين ليضع فيهما أباه وأمه أو عمه أو خاله، فكلما كثرت تلك الدور عرفنا أن المجتمع في هذه الناحية أو في هذا البلد مجتمع متفكك، مجتمع لا يمكن أن يعتمد عليه ليكون الخميرة لاستمرار فكرة الأسرة.

فاذن لا يمكن في المغرب ولله الحمد ان يفكر أي منا في ان يسكن أباه أو أمه أو أخاه الكبير أو خالته في دار من هذه الدور المختصة التي تصلح كمأوى للعجزة.

ولكن اذا نحن استمررنا في بناء العمارات على الشكل الحديث الأوربي فسنضطر وسنجعل ابناءنا مضطرين إلى ألا يسكنوا مع آبائهم واسرهم، لأن البيت المغربي مخطط بشكل يجعل للأب والأم حياتهما، وللزوج وللزوجة حياتهما، دون ان يقع اي اختلاط في حياتهم الخاصة، لأن اسرتنا مبنية على الحشمة ومبنية على الاحترام المتبادل.

فاذا نحن حافظنا على نوعية ما من الهندسة وحافظنا على وحدة الأسرة، وحافظنا على عدم تفككنا، وجعلنا بين الطفل والكهل والشيخ، وبين التلوث المعنوي والفكري الذي ذكرته، جعلنا بينهم وبينه حداً وسوراً منيعاً، أما إذا نحن بنينا العمارات وصار الأب يتلاقى مع ابنه في حمام واحد أو محل للاغتسال مشترك نزل دافع الحشمة الذي ذكرته لكم وارغم الأب اما أن يترك المنزل لابنه أو الابن أن يترك المنزل لأبيه، لهذا يجب ان تمكن الناحية التقنية في الهندسة وفي تخطيط بيت الأسر المغربية من أن تعيش متحدة وموحدة.

ثانيا : يجب ان نمكنها من المحافظة على عيشتها، فالأسرة التي لا تحتفل بعيد الأضحى ولا تحتفل بالعقيقة ولا تحتفل بالاعذار ليست اسرة مغربية، ولا اريد ان يقال يوماً ما ان الأسرة المغربية لم تبق تحتفل بالعقيقة وبالأعذار ولا بالزواج ولا بالاحتفالات التقليدية، لماذا ؟ لأن ذلك هو الذي يطبعها بطابعها.

فاذا هي تخلت عن هذه الحفلات والاحتفالات الأسروية وقع لها فراغ، والأسرة التي لا تحتفل بشيء ستبتعد عن تقاليدنا لتعانق تقاليد أجنبية.

فمثلا انا اعرف عائلات مغربية قليلة تحتفل « بنويل »، كلنا نحتفل بعيد ميلاد سيدنا عيسى روح الله وكلمته، ولكن كيف يهدون الهدايا لأبنائهم والدميات والألعاب في « نويل » ولا يهدونها لهم في عاشوراء الذي هو يوم الأطفال، نحن نقدم للأطفال اللعب في عاشوراء وليس في نويل.

ففي امريكا زيادة على « نويل » عندهم يوم « الشكر لله » اي ما يعرف عندنا « بحاكوزا » يذبحون فيه البيبي « الديك الرومي » ويضعون حول ذلك الديك جميع المنتوجات من الخيرات التي اعطاها الله، وتجتمع الأسرة كلها في دار واحدة.

ونحن عندنا« حاكوزا » التي تجتمع فيها اسرتنا، وعندنا أيضا عيد الأضحى الذي تجتمع فيه الأسرة، وعندنا أعياد تقليدية أخرى، اذا نحن لم نمكن اسرتنا من الاحتفال بها ولم نترك لها أن تذبح كبشها سواء بمناسبة العقيقة أو العيد فلابد ان يترك ذلك الكبش فراغه لشيء آخر، ونصبح اذذاك نحتفل بحفلات أجنبية، لأن كل اسرة لابد لها من احتفال.

فاذا نحن لم نفعل ذلك فسنصبح في حالة الاقتصار على ذبح الكبش فقط سواء في العيد أو العقيقة معرضين للأقاويل ومتهمين بالوحشية، فيقال اننا جزارون نسيل الدماء.



ليس بربطة العنق واللباس الأوربي اقتحمنا البوغاز
وليس بالروح الأجنبية نزلنا إلى تخوم الصحراء

هذه تقاليدنا، وهكذا عشنا عليها، وليس بربطة العنق ولا باللباس الأوربي اقتحمنا البوغاز، وحرقنا السفن، وليس بالروح الأجنبية نزلنا إلى تخوم الصحراء، وصعدنا إلى شمال اسبانيا، قمنا بذلك لأننا مغاربة وعرب، ونحن راضون بوضعنا، فليس لنا أي مركب، فاذن المحافظة على البيئة الخلقية والأدبية هي كذلك تدخل في تخطيط المنازل والعمارات التي ستقومون ببنائها، مسألة البيئة كما قلت لكم هي قبل كل شيء العش الذي يترعرع فيه الابن والطفل حتى يمكن أن يصبح عضوا عاملا في بلده، فعلينا اذن — كما وفر لنا آباؤنا عشاً وثيرا دافئا ملؤه الحنان والاعتبار والتربية والكرامة والمحافظة على الشخصية والعبقرية — ان نيسر لأبنائنا وأبناء أبنائنا وحفدتنا نفس البيئة ونفس الوكر.

ولنجعل ختام حديثنا هذا شعارمناظرتكمهذه الحديث النبوي الشريف : « ان الله جميل يحب الجمال » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ألقي بمراكش

الأربعاء 29 محرم 1400 — 19 دجنبر 1979